

في التنظيم الثوري السري

لقد انتفضت الأراضي المحتلة في الضفة وغزة، بإسناد متنوع من الجماهير الفلسطينية في ٤٨، ناهيك عن الشتات سيما في سوريا ولبنان والأردن.

كان جلياً بما فيه الكفاية دور «العفوية» والمبادرات المحلية، فهي في كل مكان، مثلما كان جارفاً دور الامتدادات المنظمة للفصائل الفلسطينية. وبتشكيل القيادة الموحدة من فتح والشعبية والديمقراطية، وبعد شهور انضم لها الحزب الشيوعي، إنما تشكل العنوان القيادي للعملية الانتفاضية، إضافة للمشاركة الميدانية الواسعة لحركتي حماس والجهاد وإن لم تشارك رسمياً في القيادة الموحدة (قوم). لقد انخرط الجميع في المعمان، كل من موقعه ووزنه، وتبدى للعيان التنسيق الميداني الواقعي رغم بعض الاحتكاكات أحياناً.

(كانت «قوم» لجنة فصائلية تتولى صياغة نداءات الانتفاضة، سواء الديباجة السياسية أو برنامج المهمات، يساعدها في ذلك الأفكار والمقترحات التي يزودها كل فصيل لمدوبه، لتجتمع وتناقش وتغني وتقرر، كان يمكن أن يرتقي دورها وخبراتها لولا اعتقالها المتكرر كما طابعها التنسيق الوظيفي، فهي لا تقود أدوات ولجان الانتفاضة في المناطق.

كلما تعرضت للاعتقال تولت الفصائل تكليف مندوبين جدد بما حافظ على «قوم» وكان ثمة مرجعيات قيادية أكثر استقراراً وأماناً، كظهير للأولى وأكثر سرية، وقد تعرض هؤلاء للاعتقال اتصالاً بمهامهم وآليات عملهم. أما الأكثر تأثيراً فكانت المرجعيات القيادية التي تتولى الركنة التنظيمية للانتفاضة التي تضطلع بالمهام الميدانية والإعلامية، فجوهر الانتفاضة هو جيشانها ومناشطاتها في مختلف المناطق والمواقع، إنها عملية شعبية عارمة، تنظمها نداءات «قوم» وقرار عملياتي يتمثل في الاشتباكات اليومية التي تشكل تيار الانتفاضة الهادر، وقرار نظري يوجه ما هو رئيس وتكتيكي عام. وكان التيار من القوة والاندفاع بما يكفي لابتلاع تباينات جزئية، بل كان المظهر الرئيس هو التنافس بين مختلف القوى لتنفيذ المزيد من المناشط الانتفاضية والذي يتناقل يبقى في معزل^(٦٥٥).

يجدر تأكيد أنه لولا القوى المنظمة، لما استمرت الاندفاعية الشعبية سنوات، فهي الهيكل العظمي والرأس المفكر، بل تضاعفت قوة هذا الهيكل مرات في سنوات الجيشان الانتفاضي، واغتنى وتمرس أكثر الرأس المفكر، لكن الطابع الشعبي للانتفاضة كان أوسع بما لا يقاس من

٦٥٥) قطامش، أحمد، محاضرة (بين الانتفاضة الكانونية والاشتباك الانتفاضي ٢٠٠٠) أيار/٢٠٠١، مركز منيف البرغوثي الثقافي